

الإيمان الواعي سرّ الإنتصار

المناسبة: الذكرى السابعة عشرة لتحرير مدينة خرمشهر

الزمان والمكان: 8 صفر 1420 هـ — ق طهران

الحضور: جمع من القوّات وعوائل الشهداء المشاركين في العمليات

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحّب بكم أجمل ترحيب أيّها الإخوة والأخوات والمقاتلون الأماجد.

لقد ازدان مجلسنا هذا — والحمد لله — بالأسماء الشريفة لشهدائنا الأكابر؛ الشهيد محمد جهان آرا¹، والشهيد صياد الشيرازي²، والشهيد محمد البروجردي³، وبقية شهدائنا العظام.

¹ ولد الشهيد محمد علي جهان آرا عام (1954م) بمدينة خرمشهر من عائلة مستضعفة كادحة ملتزمة. ونظراً إلى الالتزام العائلي، فقد تأثر الشهيد منذ عام (1969م) بالحركة الإسلامية بزعامة الإمام الخميني (قدس سره)، وخاض النشاط السياسي بمعية عدد من زملائه في المسجد. انضم برفقه أبيه عام (1970م) إلى تنظيم حزب الله السري في مدينة خرمشهر. إلا أن هذا التنظيم قد كشف عام (1972م) واعتقل جميع أعضائه ومن بينهم الشهيد جهان آرا. ونظراً إلى خلقه الحسن في التعامل مع سائر السجناء، فقد استطاع إرشاد عدد منهم إلى العمل السياسي والنضالي. وخرج الشهيد من السجن وهو أشد عزيمة على مواصلة نضاله وأكثر سعيًا ونشاطاً، فما كان من السواك إلا أن استدعاه وهدده بترك النشاط الإسلامي والسياسي. إلا أن هذا التهديد لم يفتّ من عزمه، بل لجأ هذه المرة إلى العمل شبه السري. انضم عام 1976م إلى جماعة "منصورون" وذلك لشعوره باستمرار الجهاد وبضرورة العمل الإسلامي المسلح، ولجأ منذ ذلك الحين إلى الحياة السرية. واثراً انتصار الثورة الإسلامية عام (1978م) عاد الشهيد محمد علي جهان آرا إلى مدينة خرمشهر منهياً بذلك سنتين ونصف من الحياة السرية. وأما كيفية شهادته ففي الساعة 7،30 مساءً من يوم الثلاثاء 1360/7/7 هـ (1981م) وبينما كانت طائرة من نوع سي — 130 متوجهة من الأهواز إلى طهران لنقل أجساد شهداء عمليات ثامن الأئمة وعوائلهم وكذا جمع من الجرحى إلى المستشفيات، تعرضت لحادثة وسقطت في منطقة كهريزك أطراف طهران، واستشهد جميع ركاب الطائرة، بما فيهم الفريق السيد محمد علي جهان آرا قائد حرس الثورة الإسلامية في مدينة خرمشهر.

² الفريق علي صياد شيرازي هو من مواليد 1944 وقد ولد في قرية «كبود كنبد» بمدينة دركز بمحافظة خراسان الرضوي شمال شرق إيران. حاز على الشهادة الثانوية عام 1963. وشارك عام 1964 في امتحان القبول للكلية العسكرية وقبل فيه وتخرج في عام 1967 في فرع المدفعية وانضم إلى الجيش برتبة ملازم ثان. وبعد تلقي الدورات التدريبية في شيراز واصفهان انتقل إلى فرقة تبريز ومن ثم فرقة كرمانشاه المدرعة. وفي عام 1971 انتقل إلى طهران لتلقي دورة في تعلم اللغة الإنجليزية وبعد انتهاء الدورة

عمليات تحرير خرمشهر ملحمة تاريخية خالدة

لقد تواجد آلاف المضحّين الواعين، في ضوء فهمهم للظروف واستيعابهم لمتطلبات المرحلة حيثما كان يجب أن يتواجدوا، وكانت نتيجة ذلك أن سجّلت ملحمة تاريخية خالدة ألا وهي ملحمة تحرير خرمشهر في عمليات بيت المقدس، التي ستبقى ذكراها خالدة في تاريخ هذا البلد، سواء في اليوم الذي وقعت فيه هذه الحادثة، أم في أي وقت آخر، يعاد فيه عرض هذه الحوادث على أذهان الشعب، وبيانها كأسلوب لتجديد الحياة الوطنية، وتسهيل طريق العزّة والمجد أمام الشعب.

عوامل النصر في عمليات بيت المقدس

لقد كانت عمليات بيت المقدس والعمليات الكبرى التي وقعت في تلك الأيام عملاً عظيماً ومعقّداً، ساهم فيه عاملان:

العامل الأول: الخبرة العسكرية وحنكة القيادة العسكرية ووعي وكفاءة شبابنا المؤمنين.

والجديّة في الدراسة أصبح هو مدرسا للغة الإنجليزية. وفي ذروة الاضطرابات التي افتعلتها القوى المناهضة للثورة في كردستان إيران عام 1979 لاختير قائداً لعمليات شمال غرب البلاد واضطلع بدور أساسي في تطهير منطقة كردستان إيران من وجود العناصر المناهضة للثورة. كان قائد سلاح البر للجيش بقرار من الإمام الخميني الراحل (قدس سره). ممثل قائد الثورة في المجلس الأعلى للدفاع. من كبار قادة حرب الثماني السنوات التي فرضها نظام صدام البائد على إيران. مساعد التقني في الأركان العامة للقوات المسلحة. نائب رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة. وقد اغتيل صياد شيرازي صبيحة يوم 10 ابريل 1999 على يد العناصر المسلحة لـ «منظمة مجاهدي خلق» عندما كانوا يتنكرون في زي عمال التنظيف، وذلك أمام منزله الكائن في طهران وأمام مرأى أبنائه.

³ الشهيد محمد البروجردي فتح الشهيد عينيه على الدنيا في عام 1954م في قرية دره كرك التابعة لبلدة بروجرد. سجن ستة أشهر في سجن الشاه وتعذيبه. ارتبط الشهيد بأنصار الإمام(ره) بمن فيهم الشهيد الحاج مهدي العراقي. له نشاطات أخرى كاستنساخ وتوزيع بيانات الإمام(ره) وخطبه، إلا أنه لم يقتنع بذلك وكان يعتقد أن جهاد الشعب المسلم في إيران ضد نظام الشاه يبدأ بالكفاح المسلح. ولذلك توجه مع مجموعة إلى سوريا ليتصل بالإمام موسى الصدر والشهيد محمد المنتظري ويتلقى التدريبات العسكرية. وبذلك أسس «جماعة توحيد الصف» واستطاع القيام بعمليات مهمة. وكان له دور فاعل في انتصار الثورة الإسلامية. وهو أحد اثني عشر فرداً الذين أسسوا حرس الثورة الإسلامية. وقد شمر عن ساعديه في مواجهة مناوئي الثورة في أحداث باوه ومعارك سنج و أحداث مدن كردستان الأليمة، وبدأ الشهيد عمله في كردستان بأفراد معدودين، وعلى الرغم من أنه كان يتعهد بمسؤولية العمليات في المنطقة الغربية، فقد كان له دور بارز أيضاً في عمليات المنطقة الجنوبية ولاسيما في عمليات الفتح المبين. وأخيراً في 22/5/1983م عندما كان يسير مع عدة من أصحابه على طريق مهاباد ونقده، انفجر به لغم عند تقاطع «دارك» ليبلغ مناه القديم ويفور بالشهادة.

كان البعض يوحى يومذاك — وقد يوجد اليوم من يتصور — أنّ عمليات كعمليات بين المقدّس كانت مجرد هجوم أمواج بشرية غفيرة، إلّا أنّ أصحاب هذا التصوّر مخطئون تماماً، فالأمواج البشرية لا يمكنها أن تفعل شيئاً دون وجود قيادة عسكرية مقتدرة وحازمة وواعية.

وفي المعارك العسكرية تؤدّي التعبئة العسكرية والقيادة والتخطيط والتكتيك والدقة واغتنام الفرصة وعشرات العوامل الأخرى إلى إبراز الحنكة والكفاءة العسكرية؛ وهذا ما حصل في معارك تحرير خرمشهر؛ وهي المعارك المسمّاة بعمليات بين المقدّس، التي كان شهيدنا العزيز صياد الشيرازي أحد المخططين الأساسيين لها، وقد اتّصل بيّ في ظهر مثل هذا اليوم هاتفياً وزفّ لي بشرى الانتصار، وقال: إنّ الجنود العراقيين اصطفوا في خط طويل ليسلموا أنفسهم.

لاحظوا كيف كانت هذه المعارك على جانب كبير من الفطنة والقوّة والشمول، بحيث إنّ القوات المعادية اضطرتّ إلى الاستسلام حفاظاً على أرواحها، حيث جاء في ذلك اليوم الآلاف من أفراد القوات المعادية — مع ما كانت تتّصف به من غرور وتكبر — واستسلموا طائعين لقوّة الإسلام.

إذاً أحد العنصرين المهمين لمثل هذه الانتصارات الكبرى: يتمثّل في قدرة القيادة العسكرية وحنكتها وإحاطتها بالعمليات الحربية المعقّدة، ومهارتها في استخدام القوات، إلّا أنّ أعداءنا أخفوا هذه الحقائق في إعلامهم يومذاك، وزعموا أنّ إيران ترسل أمواجاً بشرية إلى سوح المعارك! وهل يمكن للأمواج البشرية أن تنتصر؟! إذ يكفي في مثل هذه الحالة أن يضعوا عدّة رشاشات في عدة أطراف لإبادة الأمواج البشرية المتقدّمة.

ولكن القضية لم تكن مجرد أمواج بشرية وإنما كانت هنالك أيضاً القدرة على التخطيط إلى جانب قوّة الإرادة.

العامل الثاني: — الذي يتّسم بأهمية تفوق العامل الأول — هو الشجاعة والصلابة المنبثقة من قوّة إيمان المقاتلين والشباب وعموم الشعب، أي أنه الحب الإيماني — لا الحب الحيواني، ولا الحب المادّي، ولا حب الأشياء التافهة الحقيرة — وحب القيم والأهداف الإلهية والإسلامية؛ وهذا هو الحب الذي يجعل القتل في سبيل الله ليس سهلاً فحسب، وإنّما حلواً أيضاً في مذاق من يحمل جذوة هذا الحب.

يروى أنّ رسول الله (ص) قال لأمرير المؤمنين (ع): كيف صبرك يا علي إذا خضبت هذه من هذا، ووضع رسول الله (ص) يده على رأسه ولحيته؟ فقال أمرير المؤمنين (ع): يا رسول الله، ليس حينئذ هو من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى يوم القيامة⁴.

إنّ أفضل شاكر لنعمة الشهادة هو من يقتل في سبيل الله؛ لأن الله تعالى منّ عليه بهذه الشهادة.

الإيمان الواعي سرّ الانتصار

ما هو الشيء الذي يوصل الشاب المقاتل في سبيل الله، أو أي إنسان آخر في أي ميدان من ميادين الحياة إلى هذه الدرجة من البصيرة؟ إنه الإيمان الواعي. اعلّموا يا أعزائي أنّ الإيمان الواعي الذي كان يتحلّى به المقاتلون هو الذي جعلهم يواجهون المخاطر، وجعل القادة العسكريين لا يفكّرون في الراحة ولا في ما يجابهونه من مخاطر، ودفع بهم إلى العمل الدؤوب ليلاً ونهاراً، وإنكار ذاتهم؛ وكانوا على استعداد لبذل أنفسهم رخيصة في سبيل الله، وفي سبيل أهداف الإسلام، ومن أجل حرية ومجد شعبهم المسلم.

وكل شعب يحمل مثل هذه المشاعر لا يمكن أن يهزم.

ومن الذي يستطيع إلحاق الهزيمة بمثل هذا الشعب؟ فغاية ما يستطيع جبابرة العالم أن يفعلوه هو تهديد الإنسان بالقتل؟ فإذا كان مستعدّاً للتضحية بنفسه، هل يبقى ثمّة تهديد أمضى من ذلك.

ما أودّ قوله هو: أنّه حتى العامل الأول — أي حنكة القيادة والفنون العسكرية — مستقاة من العامل الثاني؛ إذ إنّ قوّة الإيمان هذه هي التي استطاعت أن تصل بالجيش وحرس الثورة وسائر العناصر التي شاركت في الحرب من القوات الشعبية وعناصر جهاد البناء والعشائر، إلى تكوين قوّة عسكرية واحدة هائلة ذات قيادة واحدة قوية وحازمة.

⁴ بحار الأنوار: ج 32، ص 243.

وكان الإيمان والحب المعنوي هو الذي ولّد لديهم هذه الكفاءة.

وإلا فإن هذا البلد كان قد دخل قبل ذلك في حروب لم تستطع قوّاتنا أن تحرز فيها المكانة اللائقة بها.

إذاً قوّة الإيمان هي التي أوجدت قوّة القيادة؛ ومعنى هذا: أنّ كل شيء يُعزى إلى أنّ شباب وأبناء البلد إذا قوّيَ إيمانهم بالله، وتعزّزَ إيمانهم بالهدف، وترسّخت فيهم روح التضحية والبذل في سبيل ذلك الهدف، وسادهم شعور بالانتماء إلى حزب الله، وإنهم جزء لا يتجزأ من جند الله، فلا يمتنى مثل هذا الشعب بأية هزيمة.

سبل العدو للتغلّب على الشعب

أريد أن أعرض من بعد هذا الموضوع مباشرة كلاماً آخر، وهو: أنّ الشعب الذي يتحلّى بقوة الإيمان وبالشجاعة المنبثقة عن ذلك الإيمان، إذا استطاع أن يُنجز عملاً جبّاراً، وكان لهذا الشعب أعداؤه، فماذا عساهم أن يفعلون حياله؟ تصوّروا — أنتم — ما هي السبل التي يتغلّب بها العدو على مثل هذا الشعب؟ من الطبيعي أنّ السبيل الذي يستطيع به العدو التغلّب على هذا الشعب، هو سلب العامل المعنوي، الذي تكمن فيه قوّة ذلك الشعب؛ لأن العدو يدرك أنّ هذا الشعب طالما بقي حاملاً لروح الإيمان، ويتّصف بالإخلاص والشجاعة المنبثقة عن الإيمان، ولديه اندفاع لتحقيق أهدافه، فليس هنالك من سبيل للنيل منه.

فما الحيلة إذاً؟ لا بدّ له إذاً من السعي لإضعاف روح الإيمان لدى أبنائه، وتمييع الأهداف الإلهية في أذهانهم، والفصل بينهم وبين تلك التطلّعات الكبرى.

ومن الطبيعي أنّ مثل هذا العمل لا يتأتّى إنجازاًه بالسيف وبالمعدّات الحديثة والمتطوّرة، وإنما يمكن إنجازها من خلال الإعلام، وقد بدأ هذا الإعلام المعادي من بعد الحرب، بل ومنذ أيام الحرب واستمر حتّى يومنا هذا.

واجبنا هو تقوية الإيمان في قلوب الشباب

وأؤكد هنا وجوب سعي كل من يحرص على مصير هذا الشعب وهذا البلد؛ من أجل تقوية الإيمان في قلوب الشباب، ومن أجل تقوية روح التدين لديهم، والعمل في سبيل توطيد علاقتهم بالأهداف الإسلامية.

وكل من يسعى خلافاً لهذا العمل، فهو إما أن يكون غير حريص على مصير هذا الشعب، أو أنه من القوى المعادية، وإما أن يكون مغترّاً مخدوعاً.

وهنا تتضح المسؤولية التي ينبغي أن يضطلع بها الواعون والمتقّفون والخطباء والكتاب والمسؤولون، وكل عنصر قادر على التأثير في أذهان الناس.

لقد تلقى العدو صفقة مدوية من إيمان الشعب ومن حميته الدينية، فلا يُلام إذاً لو أظهر العداء للحمية الدينية؛ ولكن لا ينبغي للأصدقاء أن يقدّموا له العون في ذلك، وكل الحريصين على عزّة إيران الإسلامية مطالبون بالعمل في سبيل مضاعفة مشاعر الحمية الدينية، والالتزام الديني لدى أبناء الشعب ولدى الشباب.

نحمد الله على أنّ شباب بلدنا مؤمنون وصالحون، ومن دواعي السرور أنّ جيل الشباب جيل صالح باستثناء بعض الأفراد هنا وهناك؛ ممن وقعوا تحت تأثير الإعلام المعادي، وتندّد عنهم أقوال وأفعال وأقوال مغلوبة، وهؤلاء بطبيعة الحال لا يمثلون جيل شبابنا؛ لأنّ جيل شبابنا سيثبت عند الشدائد، وعندما يحين موقف آخر كالمواقف التي مرّت في مدينة الدماء (خرمشهر)، وعندما تفتح ميادين الجهاد في سبيل الله، إنه متمسك بالإسلام من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

لقد استطاع شبابنا إنجاز تلك المهام الكبرى بكفاءةهم يومذاك.

ونحن اليوم أيضاً أماناً مهام كبرى، وإن لم تكن ذات طبيعة حربية، ولا تستلزم الحضور في الجبهات، إلّا أنّ المهام الكبرى هي كبرى على الدوام، وتتطلب الإخلاص والحمية الدينية والثبات في سبيل الله، والصلابة وعدم المساومة مع العدو، وهذه الصفات موجودة لدى شبابنا، وستبقى موجودة لديهم إن شاء الله.

أدعو الله ببركة وحرمة دماء شبابنا الطاهرة الزكية التي أريقت في سبيل الله أثناء معارك بيت المقدس، وما سبقها وما تلاها من معارك على امتداد عهد الثورة إلى يومنا هذا، أن يثبت أقدام شبابنا وأبناء شعبنا على صراطه المستقيم، ويردّ كيد الأعداء ولا يمكنهم من العثور على موطئ قدم لهم بين أبناء شعبنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته